العرب
الإثنين 2020/11/16
السنة 43 العدد 11883

ما حدود نجاح أوروبا في توسيع نطاق استراتيجيتها ضد الإرهاب

دول الاتحاد تتحد لمحاربة التطرف الرقمي وتعزيز تأمين الحدود

التحديات الأمنية تتطلب استراتيجية أكثر صرامة

مع تزايد المخاطر الإرهابية في أوروبا في السنوات الأخيرة اضطرت دول التكتل إلى توسيع نطاق استراتيجيتها لمكافحة هذه الآفة عبر المنصات الإلكترونية وتعزيز الحدود الخارجية في ما بينها، لكن المسألة أضحت، وفق المراقبين، أكثر تعقيدا والأمن المجتمعي والقومي للاتحاد الأوروبي يتعرض لمزيد من الصدمات الأمنية، وصعوبة التحكم في العناصر المتطرفة الخطيرة، التي تتحرك بنوع من السهولة ما يجعل الأوروبيين في سباق مع الزمن لكسب رهان التحديات التي تعترضهم.

بروكسل - لم يعد الإرهاب خطرا بعيدا يهدد مصالح أوروبا الاستراتيجية في الشرق الأوسط أو في أي بقعة من العالم، بل أصبح خطرا يهددها في عقر دارها، لذلك فإن أعضاء الاتحاد باتوا مجبرين على ما يبدو على توسيع نطاق استراتيجيتها لمكافحة هذه المشكلة القديمة – الجديدة، التي عمل تنظيم داعش على إبرازها بشكل غير مسبوق.

وتسببت الهجمات الإرهابية الأخيرة في كل من النمسا وفرنسا في حث الاتحاد الأوروبي على تحريك الأفكار الكامنة داخله من أجل تضييق الخناق أكثر على الجماعات المتطرفة التي لا تزال تنشط بكثافة على الأراضي الأوروبية.

شذا اسلام:

لا توجد لدى أردوغان ولا عمران خان أي مصلحة حقيقية في تحسين حياة مسلمي أوروبا

وعلى الرغم من الخطط الأمنية التي اتخذها أعضاء الاتحاد الأوروبي بعد الهجمات المتزامنة التي تعرضت لها فرنسا قبل خمس سنوات، إلا أن عودة نشاط بعض الأفراد الذين يعيشون داخل أوروبا حفزت الأوروبيين على اتخاذ خطوات تعزيز أمن الحدود الخارجية للاتحاد وإقرار تشريعات أوروبية من أجل إزالة "المحتوى الإرهابي" على الإنترنت.

وهنا، يمكن التساؤل حول حدود نجاح الأوروبيين في توسيع نطاق استراتيجيتهم الموحدة لمكافحة الإرهاب، خاصة وأنه كانت لديهم الفرصة في العامين الأخيرين من أجل اعتماد أجندة أمنية أكثر نجاعة وعدم انتظار حصول عمليات جديدة حتى يقوموا بالتحرك مرة أخرى.

أساليب أقوى

شهدت أوروبا موجة إرهابية في عام 2014، وكان منفذو العمليات، في الغالب من داخل أوروبا ارتبطوا بالتنظيم المركزي لتنظيم داعش المتطرف وحصلت الهجمات في داخل بلدان الاتحاد الأوروبي بتخطيط وإدارة تلك العمليات من الخارج.

لكن منفذي تلك العمليات كانوا في الغالب حاصلين على الوضع القانوني في أوروبا من خلال الحصول على الجنسية أو الإقامة الدائمة أو المؤقتة أو مستمسكات (وثائق رسمية) أوروبية رغم رفض لجوئهم، وتعتبر تفجيرات باريس الإرهابية نوفمبر 2015 وتفجيرات بروكسل مارس 2016 نموذجا لذلك.

واليوم اتخذت دول أوروبا من ضمنها فرنسا إجراءات جديدة ضد عدد من الجمعيات بعد التدقيق فيها، في انتظار مشروع قانون ضد التطرف الإسلاموي من شأنه أن يوسع نطاق أسباب حل الجمعيات واتخذت إجراءات لمراقبة "دعاية التطرف".

وقررت الحكومات التحرك فورا ضد جميع من دعموا الاعتداء على شبكات التواصل الاجتماعي، بعدما أقدم شيشاني يبلغ 18 عاما على قطع رأس مدرس تاريخ في منتصف أكتوبر الماضي في ضاحية بباريس.

وكذلك حادثة النمسا الإرهابية في وقت سابق هذا الشهر، ورغم هذه التهديدات، فإن الجماعات المتطرفة لم تستطع تنفيذ عمليات إرهابية نوعية، وتبقى محدودة في إطار ما يعرف بـ"الذئاب المنفردة".

وقد دعت المفوضة الأوروبية للشؤون الداخلية ييلفا يوهانسون عقب اجتماع لوزراء الداخلية الأوروبيين الجمعة الماضي الدول الأعضاء إلى استخدام الأدوات المتاحة في الوقت الحاضر، مثل نظام شينغن للمعلومات والتوجيه الأوروبي الخاص بالأسلحة النارية.

كما شددت على أهمية عمليات التدقيق المنهجية عند الحدود الخارجية للاتحاد الأوروبي، مستشهدة بدراسة أجرتها الوكالة الأوروبية لحرس الحدود والسواحل (فرونتكس) في العام الماضي والتي تفيد بأن 22 في المئة ممن يدخلون منطقة شينغن لم يتم تسجيلهم وفق الأصول. وتابعت "لذلك من الواضح أن ثمة مجالا للتحسين".

وترى شذا إسلام المتخصصة في شؤون الاتحاد الأوروبي في تقرير نشرته صحيفة "الغارديان" البريطانية أن الهجمات الخاطئة في فرنسا والنمسا أدت إلى إعادة تسليط الضوء على 25 مليون مسلم في أوروبا، لأن الاهتمام غير المرغوب فيه عادة مألوف.

وتقول إسلام، التي تدير مشروع هورايزونز، وهي شركة استشارية لتحليل الاستراتيجيات، إن مناقشة الأوروبيين للمسلمين كخطر أمني تصل دائما إلى ذروتها بعد عمل إرهابي يقوم به متطرفون باسم الإسلام، وهذه المرة جاء المهاجمون من الشيشان وتونس وواحد له جذور في مقدونيا الشمالية، ويبدو أن القلق من "العدو الداخلي" للمتشددين يتعمق.

وأوضحت إسلام أن ليس لدى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ولا لرئيس الوزراء الباكستاني عمران خان أي مصلحة حقيقية في تحسين حياة مسلمي أوروبا كما أنهما لا يشاركون مخاوفهم وأولوياتهم وقيمهم. وفي الحقيقة أن العديد من المسلمين الأوروبيين فروا من هذه البلدان بحثا عن مأوى في أوروبا وآخر شيء يحتاجونه هو مشورة من القوى الأجنبية.

وتبدو النقاشات القلقة حول مكانة الإسلام في أوروبا والادعاءات بأن المسلمين الأوروبيين هم جنود في مواجهة وجودية بين أوروبا والإسلام ويمثلون "الآخر" الذي يستحيل اندماجه، قد تلازم المسلمين في جميع أنحاء القارة لعقود. ومع ذلك، هناك صرامة جديدة وخطيرة للمحادثة هذه المرة.

وكان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قد طالب مؤخرا بإجراء إصلاح "عميق" للقواعد المطبقة في منطقة شينغن لحرية التنقل والحركة في أوروبا، وسيطرة أكبر على الحدود، بعد أسبوع من هجوم على كنيسة في نيس نفّذه شاب تونسي كان قد وصل حديثا إلى أوروبا.

ولذلك تعتزم المفوضية تنظيم منتدى نهاية نوفمبر الجاري يجمع الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي ومنطقة شينغن التي تضم 22 دولة من أصل 27 في الاتحاد الأوروبي بالإضافة إلى النرويج وإيسلندا وسويسرا وليشتنشتاين من أجل التحضير لتعديل القواعد المطبقة في هذا المجال.

وهناك إصرار من قبل وزراء الداخلية الأوروبيين للتوصل إلى نتائج قبل نهاية العام للمفاوضات الجارية حاليا لاعتماد تشريع أوروبي يهدف إلى إزالة المحتوى الإرهابي عبر الإنترنت، فقد أكدت يوهانسون أنه في حالة الاعتداءات التي حدثت في فرنسا، كانت التنظيمات الإرهابية تدعو على الإنترنت للانتقام من إعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد في صحيفة شارلي إيبدو الفرنسية.

الإرهاب السائب

حدثت في أوروبا وتحديدا في كل من فرنسا وبريطانيا وهولندا وألمانيا وبلجيكا 16 عملية إرهابية منذ العام الماضي، وكان جميع منفذي العمليات من أصول عربية وإسلامية، وحاصلين على الوضع القانوني داخل أوروبا، ولم تشهد أوروبا عمليات إرهابية عبر عناصرها من الخارج.

وأثار هذا الوضع الجديد دوائر صنع القرار في أوروبا لأنهم باتوا متخوفين من حصول موجة جديدة من الهجمات الإرهابية والتي لا يستطيع أعضاء الاتحاد تطويقها على النحو المطلوب، خاصة في ظل احتمال استغلال بعض المتشددين لحالة الإغلاق بسبب الأزمة الصحية المنجرة عن الوباء.

واستنادا على المعطيات الأمنية والاستخباراتية، استطاع المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات أن يحلل تلك الهجمات، مشيرا إلى أن عمليات الطعن بالسكين هي أكثر استخداما، وهذا يعني أن عناصر التنظيمات المتطرفة خسرت الكثير من قدرتها على الحصول على المتفجرات أو الأسلحة النارية.

ولدى خبراء المركز قناعة كبيرة بأن وقوع عمليات على غرار "الذئاب المنفردة" أو من وحي تنظيم داعش المتطرف يعني أن التنظيمات المتطرفة خسرت اتصالاتها، وأن أوروبا الآن أمام إرهاب لامركزي يمكن وصفه بـ"الإرهاب السائب".

ولكن حتى مع تسجيل خطوات ملموسة في هذا الإطار مع إمكانية تسجيل نجاحات أكبر في المستقبل، فإن شذا إسلام تعتقد أن الخطوة الأولى المهمة، تتمثل اليوم في تحدي أسطورة مسلمي أوروبا بوصفهم غرباء أبدا مع ثقافة وعادات تجعلهم إلى الأبد أوروبيين "غير حقيقيين".

واشنطن تتأهب لإعادة هيمنتها على المنظمات الدولية

لم تشهد المنظمات الدولية اضطرابات في نشاطها خلال العصر الحديث كالتي عايشتها مع الرئيس المنتهية ولايته دونالد ترامب، الذي أعطى صورة سلبية عن الولايات المتحدة التي لطالما كانت البلد الأكثر تأثيرا في هذه المنظمات، واليوم يراقب المتابعون كيف ستتغير الحال بعد أن يرمم الفائز بالانتخابات الأميركية جو بايدن كل الفوضى التي خلفها سلفه.

جنيف – تركت ولاية دونالد ترامب الرئاسية بصمة سلبية في منظمات دولية غالباً ما وضعتها الولايات المتحدة في الواجهة واعتادت على قيادة واشنطن لها. وأشاع فوز جو بايدن بانتخابات هذا العام تفاؤلا داخل تلك الكيانات التابعة للأمم المتحدة.

ورغم ذلك يرى متابعون أن شهر العسل المنتظر بين الطرفين قد يكون لفترة وجيزة. ويقول أستاذ العلاقات الدولية في جامعة بيرن مانفريد إلسيغ في تصريحات لوكالة الصحافة الفرنسية "أعتقد أن الجميع ينتظرون عودة الحكومة الأميركية بذراعين مفتوحتين".

ومنذ تولي ترامب الرئاسة، انسحبت الولايات المتحدة أو هددت بالانسحاب من عدة اتفاقات دولية تحت تأثير شعار "أميركا أولا"، فقد أعلنت واشنطن انسحابها من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونيسكو) متهمة إياها بأنها تعادي إسرائيل، كما انسحبت من معاهدة باريس للمناخ.

ولم يكتف ترامب بذلك، بل أخرج بلاده من اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادي التي وقعتها 11 دولة عام 2015 من منطقة آسيا والمحيط الهادي باستثناء الصين، كما انسحب من الاتفاق النووي الذي وقعته إيران مع القوى الكبرى وهي روسيا والصين وفرنسا وبريطانيا وألمانيا.

وأطلق مفاوضات جديدة بشأن اتفاق التبادل الحر لدول أميركا الشمالية (نافتا) التي تشمل منذ 1994 الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، وقد طالب ترامب مرارا بإصلاح الأمم المتحدة منتقداً البيروقراطية وسوء الإدارة التي تعانيها.

ولم يسلم من انتقادات الرئيس ترامب حتى الحلفاء، فقد سبق أن اعتبر حلف شمال الأطلسي (ناتو) كيانا "عفا عليه الزمن"، ودعا الدول الأعضاء إلى زيادة ميزانياتها الدفاعية، فضلا عن امتعاضه من الإجراءات الحمائية التي يفرضها حلفاؤه عبر الأطلسي.

ومن بين تأثيرات إدارة ترامب، الانسحاب من مجلس حقوق الإنسان وتعطيل عمل منظمة التجارة العالمية والانسحاب من منظمة الصحة العالمية التي كانت واشنطن أكبر ممول لها، في وقت كانت فيه الوكالة الأممية تحاول تنسيق المعركة ضد أسوأ وباء يتفشى في العالم منذ قرن.

ويعتبر الخبراء أن بايدن، المؤيد للتعددية والمتحمّس للعلاقات الدولية، سيسرع إلى إعادة العلاقات مع المجتمع الدولي وهيئاته. ويقول مسؤول في منظمة التجارة العالمية رفض الكشف عن اسمه لوكالة الصحافة الفرنسية إن فوز بايدن أثار "ارتياحا كبيرًا" بين المنظمات الدولية.

وهاجم ترامب منظمة التجارية العالمية سواء تعلق ذلك بالميزانية أو بالشلل المفروض على آلية تسوية النزاعات أو بعرقلة وصول مرشحة إلى رئاسة المنظمة في نهاية السباق رغم أنها كانت تحظى بدعم الأكثرية الساحقة لأعضاء المنظمة.

ويعتقد إلسيغ أنه "سيكون هناك شهر عسل"، لكنه قد يكون لفترة قصيرة. ولا تزال الفكرة التي لطالما تحدث عنها ترامب على مدى السنوات الأربع الماضية، وهي أن الولايات المتحدة مخدوعة من جانب المجتمع الدولي، متداولة على نطاق واسع في المعسكر الجمهوري.

ويشير إلسيغ إلى أن "كل خطوة ستقوم بها إدارة بايدن لإعادة الروابط مع العالم والهيئات الدولية، ستتعرض لانتقادات في واشنطن"، فضلاً عن أنه من غير المؤكد ما إذا كان سيحصل بايدن على الأكثرية في مجلس الشيوخ.

ولدى منظمة الصحة العالمية أسباب خاصة للترحيب بتغير الإدارة الأميركية بعد أن اتّهمها ترامب منذ أشهر بأنها دمية الصين وبأنها أبلغت بشكل متأخر جداً عن وباء كوفيد – 19. واتخذ بايدن موقفاً معاكساً لخصمه، فقال "الأميركيون يشعرون بأمن أكبر عندما تلتزم أميركا بتعزيز الصحة في العالم".

مانفريد إلسيغ

الجميع ينتظرون عودة الولايات المتحدة بذراعين مفتوحتين

والولايات المتحدة هي اليوم البلد الأكثر تضرراً من الوباء الذي يبدو أنه خارج عن السيطرة على أراضيها، ولكن بايدن وعد بأنه "في أول يوم من رئاستي، سأنضمّ مجدداً إلى منظمة الصحة العالمية وسأعيد إحياء قيادتنا على الساحة الدولية".

ولم ترغب منظمة الصحة في التعليق على الأمر لكن مديرها العام تيدروس أدهانوم غبريسوس لم يخف حماسته فكتب في تغريدة "أنا متحمس جداً للعمل معكم ومع فرقكم. أزمة مثل وباء كوفيد – 19 تظهر أهمية التضامن العالمي لحماية الأرواح وسبل كسب الرزق".

وترى منظمة التجارة العالمية أنه إذا كان بإمكان إدارة بايدن إعطاء الضوء الأخضر لوصول المرشحة النيجيرية نغوزي أوكونجو – ايويلا إلى قيادة المنظمة، فإن الانتقادات بشأن آلية تسوية النزاعات بين الدول الأعضاء لا يعود تاريخها إلى عهد ترامب لأن "هذه المخاوف تتشاركها إدارة بايدن".

ويلفت إلسيغ إلى أن "عشر انتقادات ترامب يجب أن تؤخذ على محمل الجدّ" على غرار المطالبة بإصلاح منظمة الصحة العالمية، الأمر الذي تسانده أوروبا على سبيل المثال. ويعتبر أن على المدى القصير، سيكون جو بايدن "في موقع قوي" للدفع من أجل إصلاح هذه الهيئات. إلا أنه أعرب عن "قلقه حيال الخطاب المعتمد في الولايات المتحدة".

ويحذّر المراقبون من أنه إذا استمرّ نهج ترامب في الحزب الجمهوري لن يكون هناك دعم للمنظمات الدولية على المدى الطويل في الولايات المتحدة، وهذه مشكلة كبيرة.

العالم بحاجة إلى كيانات أممية فاعلة